الفصل الأول

النظام الإداري في العصر الأول من حكم الأسرة السليمانية.

كان هيكل النظام الإداري في المملكة الحبشية في ذلك العصر يتكون بصورة رئيسة من حكومة مركزية تمارس كافة سلطاتها من القصر الإمبراطوري، وكان الإمبراطور على رأس هذه الحكومة فهو حاكم البيت السليماني وكبيره، وهو قائد الأحباش والمتحكم في شؤونهم، ومن حقه وحده أن يعين من يراه مناسبًا في المناصب والوظائف المختلفة – سواء المدنية أو الدينية - في الدولة. كما كان من حقه وحده عزلهم، ويقوم أيضًا بتوزيع الأراضي والنظر في القضايا، لذلك فهو وحده من يلقب بلقب "ملك الملوك" أما باقي حكام المقاطعات فقد كان يطلق على كل واحد منهم لقب "ملك"[1].

وكانت تقوم في الأقاليم حكومات محلية عبارة عن صورة مصغرة من الحكومة المركزية، يقوم على رئاستها حكام المقاطعات، وهم الذين انحدروا من سلسلة الزعماء المحليين، وهم يستمدون سلطتهم من القصر مباشرة، ورغم ذلك فقد تمتعوا بنفوذ واسع داخل مقاطعاتهم، إذ كانت سلطاتهم مماثلة إلى حد كبير لسلطة الأباطرة أنفسهم، ولكن في داخل مقاطعاتهم فقط، وذلك في مقابل اعتراف هؤلاء الحكام بالسلطة الشخصية للإمبراطور، ودفع الجزية وتأدية واجباتهم الإقطاعية الأخرى، إلا أن العامل الوحيد الذي يضمن بقاءهم في حكم مقاطعاتهم هو الحضور فورًا على رأس قواتهم العسكرية عندما يطلب منهم ذلك. بل كان بعضهم على رأس الجيوش الخاصة بالإمبراطور، ورغم ذلك، لم يضمنوا استمرار مدة حكمهم ولا توارث مناصبهم، بل كان من الممكن أن يُمْنَحَ الحُكْمُ لعضو آخر في العائلة أو ربما ينتقل إلى عائلة أخرى[2].

على أنه لا يفهم من ذلك أن المملكة الحبشية كانت عبارة عن وحدة إدارية واحدة، إذ تشير معظم المراجع المختلفة إلى انقسام هذه المملكة

---

[1] - فوزي عبد الرازق مكاوي، مملكة أكسوم ص 185، القلقشندي، ج4، ص322، ابن خرداذبة، ج1، ص4، مجدي عبد الرازق سليمان ص ب.

2-Mordechai Abir: op., cit., p.45.

– في هذه الفترة - إلى نوعين من المقاطعات، يشمل النوع الأول تلك المقاطعات الجديدة التي قام أباطرة ذلك العصر بفتحها، والتي ضمنت لهم السيطرة على طرق التجارة المختلفة، وقد تم ضبط إدارة هذه الأقاليم الجديدة بإحكام طيلة ذلك العصر المشار إليه[1]، أما النوع الثاني فهي تلك المقاطعات التي كانت موجودة أصلًا في المملكة، وقد اتجه النظام العام للحكم في كلا النوعين إلى الحكم الذاتي، وقد حكم هذين النوعين من المقاطعات نوعان من الحكام هما:-

1- الأمراء المحليون الوارثون: الذين استمدوا سلطتهم أصلًا من البلاط الملكي مباشرة نتيجة وراثه حكم المقاطعة عن آبائهم. وقد اعتمدت قوة هؤلاء الحكام السياسية والعسكرية على قوتهم الاقتصادية التي تجمع من عائدات الأراضي التي سيطروا عليها، ولذلك حاول (عمدا صهيون) تقليل مصادر قوتهم بمنح العديد من أراضي الإقطاع إلى الكنائس والأديرة فضلًا عن عدد كبير من النبلاء المنتشرين في أنحاء المقاطعة[2].

2- الأمراء المحليون المعينون : وهم الذين قام الإمبراطور القائم بتعيينهم وبخاصة في المقاطعات الجديدة التي يتم فتحها[3]. وقد حمل

---

1 - Taddesse Tamrat: Church and State in Ethiopia, pp.96-98.

2- Peter Schwab: Ethiopia: politics, economics and society, Published London Pinter,1985, p.211see also Mordechai Abir: op, cit., pp.56-57.

3 - يبدأ هؤلاء الحكام حياتهم –في أغلب الأحوال- في أحد قصور القادة المحليين كتابعين أو كأحد أقارب الحاكم المحلي، ثم يأخذ مكان الحاكم المتوفى (خاصة إذا لم يكن له أولاد ذكور)، وفي العادة كان يقوم بعمل للاستيلاء على السلطة و اغتصابها بقوة السلاح، وسرعان ما يعلن ولاءه إلى القصر الملكي عن طريق حلف يمين الولاء وإظهار الطاعة للإمبراطور ويتولى رسميًّا حكم المقاطعة، وذلك في مقابل التزامه بما يلتزم به إخوانه تجاه الإمبراطور، ولكن إذا أراد رضا الإمبراطور عليه كان يمنحه لقبًا آخر يصبح بمقتضاه حاكمًا سياسيًّا لمنطقة أكبر. للمزيد انظر:

- Taddesse Tamrat: op., cit., p.96

جميع هؤلاء الأمراء لقب Siyum الذي يدل على تعيينهم جميعًا من قبل الإمبراطور[1].

ورغم اشتراك جميع الأمراء السابقين في الألقاب المختلفة، إلا أنه لم يكن لحكام المقاطعات المعينين والموظفين التابعين ما لنظرائهم الوارثين من القوة والسمعة، ولا يستطيعون منافستهم، لذلك شكلوا - الأمراء الوارثون - خطورة كبيرة على المملكة الحبشية؛ خاصة إذا كانت سلطة الإمبراطور ضعيفة، إذ تنعدم سلطته نهائيًا على مثل هذه الأقاليم، لذلك فقد أقام هؤلاء الحكام الأقوياء قصورًا في مقاطعاتهم على نفس نمط القصر الملكي[2]. وحينما يحدث أي تعارض بين الحكم الإمبراطوري وحكام المقاطعات كان الإمبراطور يلجأ إلى دعم قوته بتقوية السلطة والجيش والحكام الإقطاعيين العسكريين، وبعض موظفي النظام الإداري غير المركزي[3].

وهكذا اختلفت مكانة هذه المقاطعات في بداية حكم هذه الأسرة، خاصة مع انتقال عاصمة المملكة القديمة إلى تاجولات على يد (يكونو أملاك)، ففقدت بعض الأقاليم أهميتها القديمة وبخاصة إقليم لاستا الذي فقد موقعه القيادي في المملكة الحبشية، في حين ظهرت أقاليم جديدة مهمة، ما أدى إلى ظهور طائفة جديدة من الحكام المحليين بعد اعتلاء (يكونو أملاك) العرش، مثل حاكم إقليم التيجري Tigre وحاكم إقليم أمحرا Amhara الذي أصبح من أهم أجزاء المملكة، إذ كان مركزًا للحركة المعادية للزغاوة، فضلًا عن حاكم إقليم أنتاريا Intarta الذي كان يحمل لقب (هسجوا) Hasgawa[4] ولقب (تاوزات) Tawazat[1]

1 - Harry Middleto: op., cit., p.62 see also Blundell (w.): The Royal Chronicle of Abssinia 1769/1840, Cambridge,1922,p.509.

2 - Mordechai Abir: op., cit., p.57.

3 - Mordechai Abir: op., cit., p.56.

4 - لقب هسجوا Hasgawa: وجد هذا اللقب منذ أيام الأسرة الزغاوية فقد أشير إليه في عام 1225م، ويبدو من سياق النص أنه أحد المسؤولين عن جمع الجزية للملك في Tamben انظر:

ولقب (أقبي صانصان) Aqabe- Sansan[2] وكان لهذا اللقب الأخير أهمية كبيرة في التيجري لدرجة أن احتفظ بهذا المنصب والمكانة في أيام الإمبراطور (زرء يعقوب).

ومن هؤلاء الحكام أيضًا من ذوي المكانة البارزة في ذلك العصر (إنجيد إجازي) Ingida- Igzi الذي ينتمي إلى عائلة محلية رئيسة[3] وقد خولت له سلطة كبيرة أثناء تولي (يكونو أملاك) الحكم له ولابنه من بعده والذي يدعى (تسفنا أجازي) Tasfana- Igzi، وقد بلغ من قوة هذه الأسرة أنه ورد في إحدى الوثائق الحبشية الخاصة بمنح الأرض والمؤرخة عام 705هـ/1305م أن (تسفنا أجازي) أشار إلى منطقته المحلية بقوله "مملكتي الخاصة". وإن دل ذلك على شيء فإنما يدل على ضعف سلطة المملكة الحبشية في عهد (يجيبا صهيون) و(ودم أرعد)[4].

- Taddesse Tamrat:The Abbots of Dabra Hayq 1248-1535, pp., 97,143.

1 - تاوزات Tawazat: ظهر هذا اللقب لأول مرة في تاريخ الحبشة في عهد (عمدا صهيون) باسم "مقلال توازن"، وهو يشير إلى أحد أهم الحكام المحليين في الشمال "حاكم أنتاريا"، وقد أضيف لاختصاصات ابن الإمبراطور (بحر سجادا) مما يدل على أنه كان منصبًا ذا قوة كبيرة، انظر:

-Perruchon: Histoire des guerres d'Amda Seyon, p 293., Manfred Kropp: op., cit., p.56.

2 - أقبي صانصان Aqabe- Sansan: حافظ المنشة الملكية، وقد أشير إليه باختصار بعبارة Aqansan انظر:

- Perruchon: Les chroniques de Zar'a ya'eqobe et de Ba'eda Maryam,.p.49, Taddesse Tamrat , The Abbots of Dabra Hayq 1248-1535, p.66. see also Manfred Kropp: op., cit., p.36.

3 - استطاعت هذه الأسرة من قوة نفوذها منح بعض الأراضي لأفراد الشعب والكنيسة، وهو ما يعني تمتع هذه الأسرة بمكانة عالية قبل تولي (يكونو أملاك) الحكم في عام 1270م.

4 - أشار بعض الباحثين إلى أن الحكام في عصر (ورد أرعد) قويت شوكتهم خاصة عندما أحسوا ضعفًا من الحكومة المركزية، واستمر هذا التصاعد في قوة بعض حكام الأقاليم إلى أن تجرأ أحد حكام عائلة إيجازي على مهاجمة العاصمة تاجولات في غياب ملكها. ورغم أن النجاح لم يحالفه في الاستيلاء عليها إلا أن الإمبراطور لم يجرؤ على عزله من

ولم يكن الإمبراطور (عمدا صهيون الأول) هو أول أباطرة هذه الأسرة الذي يدرك خطورة خروج السلطة اللا مركزية من سلطة الحكومة المركزية، ورغم مشاكله وحروبه المتعددة، فقد كان أول من حاول الإصلاح الإداري، فبدلًا من مخاطر الاشتباك المباشر مع حكام المقاطعات، اختار طريقًا غير مباشر وعالج مشاكله بتقوية نظام الرقابة حول النظام الإداري بصفة عامة وحكام المقاطعات خاصة ليقوض مصادر قوة طبقة النبلاء، ولذلك فقد استطاع بسط سيطرته ونفوذه على هؤلاء الحكام الذين هددوا وحدة المملكة[1]، ونجحت حملاته في فرض إرادته على حكامه المحليين، ما جعله يحي ذكرى نجاحة في التيجري من خلال منحه أرضًا لدير دبر حيق Dabra-Hayq بقوله: "إن الله أعطى لي في يدي حاكم أنتاريا، وكل جيشه وأتباعه، وأقاربه، وكل أراضيه..."، وهذا يدل على تمكن (عمدا صهيون) من إخضاع السلطة الداخلية في يده، بعد أن كان هناك العديد من الأسر القوية التي تمتعت بنوع من الحكم الذاتي[2]. وتذكر المصادر الحبشية في عصره أنه قام بتعين بعض الحكام الجدد الذين ارتفعت درجة ولائهم للمملكة الحبشية[3]، كما أقام له مقرًا ثابتًا في معظم أقاليم المملكة التي ارتفعت

منصبه، وهو أمر يؤكد بما لا يدع مجالًا للشك الضعف الشديد للحكومة المركزية والقوة الملحوظة لذلك الحاكم. للمزيد انظر:

- Taddesse Tamrat:The Abbots of Dabra Hayq 1248-1535, pp.63-67.

1- Mordechai Abir: op., cit., pp.56-57.

2 - يذكر أن عمدا صيون استخدام القوات العسكرية المحلية في قمع هذه الثورات العديدة التي قامت ضده، كما بعث الإمبراطور دواد القوات العسكرية لإقليم التيجري لقمع التمرد المحلي الذي قام به يهود الفلاشا. انظر:

- David Kessler: The Falashas: a short history of the Ethiopian Jews, London, 1996,p.23. see also Taddesse Tamrat ,Church and State in Ethiopia, pp.73-74.

3 - ولم ينس قط أن يعين واليًا في كل أرجاء إثيوبيا" انظر:

-Manfred Kropp: op., cit., p.6.

فيها حدة الثورات المناهضة لحكم الأسرة[1]، فضلًا عن قيامه بتعين موظف أطلق عليه لقب "ميسلان"[2].

ولم يكتف الإمبراطور بذلك، بل قام بتوزيع المسؤوليات العديدة التي كان يتولاها فرد واحد في المملكة الحبشية، إذ كان يعيد توزيع الألقاب الإدارية والسياسية طبقًا لرغباته واحتياجاته خاصة في حالة حدوث تمرد من أحد حكامه[3]، فعلى سبيل المثال قام الإمبراطور بتوزيع مسؤوليات (يكابا إيجازي) Ya Ibika-Igzi على عدد من الأفراد، كما عهد بمسؤولية حكم مقاطعة أنتاريا لإحدى ملكاته وهي (بلن سبا) Bilen-Saba ذات الأصل التيجري فضلًا عن بعض المساعدين التابعين لمختلف المناطق، كما أعطى إدارة التيجري كاملة لأحد أبنائه وهو (بحر سجدا) Bahr- Sagad في عام 729هـ/ 1328م[4].

وهكذا اتبع (عمدا صهيون) سياسة جده (يكونو أملاك) في منح أبنائه العديد من الوظائف السياسية والإدارية في المملكة[5]، وسار على هذه السياسة معظم أباطرة الأسرة السليمانية في الحبشة طيلة العصور الوسطى، وهو الأمر الذي أدى إلى وجود بعض الاضطربات السياسية، ويذكر النص الحبشي في عهد (عمدا صهيون الأول) أن ابن

---

1 - أطلق لفظ (مرعادي- مار عادا) على مقر الملك الحبشي في إقليم أمحرا، وقد أثار هذا اللفظ تساؤل عدد من الباحثين إذ اختلفوا على دلالته هل يدل على اسم مكان ثابت أم اصطلاح يدل على المعسكر الملكي المتنقل؟ لذلك أطلق عليه البعض لفظ (مرعاد داج- مرعاد بيت) انظر:

-Manfred Kropp: op., cit., p.7.

2 - ميسلان: وهو لفظ أدخله (عمدا صيون) في الحبشة وهو يعني "ممثل السلطة الملكية في الإقليم" انظر:

- Manfred Kropp: op., cit., p.5.

3 - Taddesse Tamrat: Church and State in Ethiopia, p.97.

4- Perruchon: Histoire des guerres d'Amda Seyon,p.293.

5- في إحدى وثائق منح الأراضي في عهد الإمبراطور (يكونو أملاك) للكنيسة ذكر اسم ابنه (يجيبا صهيون) بعد اسم الإمبراطور مباشرة بوصفه واحدًا من كبار المسؤولين في البلاط الملكي في ذلك الوقت، انظر:

- Taddesse Tamrat:The Abbots of Dabra Hayq 1248-1535, pp.91-93.

هذا الإمبراطور الذي يدعى (بحر سجدا) جمع معظم اختصاصات ومناصب المملكة في يده، في حين كان ينهض بمهام هذه المنصب شخصان في عام الحرب عام 1332م[1].

ورغم المحاولات الكثيرة الأولى في الإصلاح الإداري في عهد (عمدا صهيون)، إلا أنها كانت غير كافية لتقويض قوة مؤسسة النظام الإداري والعسكري القديم، فكان المفهوم الأساسي لهذه الإصلاحات بالوسيلة المعتادة "فرق تسد"، كما اعتمدت أيضًا على قوة الإمبراطور الذي يساعده نظام معقد من عمليات الرقابة، وقدرته على ممارسة سلطاته العليا، فضلًا عن قدرته على تعبئة الجيوش الكبيرة في وقت قصير نسبيًا[2].

ورغم أن إنجازات الملوك الأقوياء الذين جاءوا بعد (عمدا صهيون الأول) كانت قليلة، إلا أنهم حاولوا مواصلة سياسته، فقد سيطر الحكم الملكي على النظام الإداري الذي حاول إصلاح التدهور في الحبشة من خلال إصلاح الإدارة والنظام العسكري فضلًا عن الكنيسة[3]. ولكن على المدى البعيد أدت إصلاحات (عمدا صهيون) - بعد موته - إلى تقوية النظام القديم عندما أصبحت الإدارة الجديدة منغمسة تدريجيًا في النظام الإقطاعي القديم[4].

---

1 - وهذه المناصب التي جمعها (بحر سجدا) هي (مئكلا بحر Ma'ilkala- Bahar (وهو أحد الألقاب الرئيسة التي كان يحملها هذا الأمير، وهو يشير إلى تلك المناطق البحرية التي تشمل المنطقة بين مأرب Marab والبحر الأحمر، وقد ذكر بعض الباحثين أن حامل هذا اللقب اختصت مسؤولياته بالعلاقات القائمة بين البلاط الملكي والمناطق الساحلية، لذلك فهو يحمل أيضًا لقب (Bahr- Nagash)– كما حمل هذا الأمير العديد من الألقاب منها: حاكم أنتاريا Intarta – هسجوا - Hasgwa- أقناصان Aqaba-Sansan - تاوزات Tawazat). انظر:

- Manfred Kropp: op., cit., p.5.

2- Mordechai Abir: op., cit., pp.53-55.

3 - Ibid,.pp.58.

4 - Ibid, p.56.